ولا مجال في السياسة أن نحسب القوى بالامكانيات المادية أو بحجم هذا الشعب أو ذاك، وبمقدار ما يملك من أسلحة ووسائل دمار، وهو مقياس مستهجن مدان علناً على الاقل، فان العلاقات الثقافية والحضارية لا تستقيم إلا بالمساواة المطلقة. من هنا كانت تضحيات البشر من أجل حرية العقيدة والفكر والرأي، كاساس لحرية الأوطان، وما الوطن إلا بوتقة ثقافة ووعاء حضارة ورموز من الاحياء والاشياء تمتد أصولها الى آلاف السنين، وعبر العديد من التجارب الباهظة الثمن. ومن تكرار القول أن نؤكد على أنه بدون حرية الأوطان السياسية فلا حرية للثقافة ولا فرصة للتعليم ولبناء الحضارة.

السيد الرئيس،
السادة أعضاء المؤتمر،

إن أسباب التوتر في عالمنا عديدة. ولكن، لابد من أن نُسلّم أن من بينها، وربما من أهمها، إصرار المستعمر القديم – الحديث على عدم احترام ثقافات الشعوب، بل التعصب لثقافته وهو القوي بسلاحه، التي تُفرَضُ بكل ما فيها من مآسي وآلام وعذاب وعنصرية وفاشية واحتكار واستغلال. ولقد سبق لمنظمتكم أن أدانت كافة أشكال العنصرية، القائمة على التعصُّب العرقي أو اللوني او الثقافي، وكان من ضمن ما أدانته، الصهيونية كشكل متطور من أشكال العنصرية، لا يزال يُمارس ضد شعبنا العربي الفلسطيني، ويُضلِّل بعض المؤمنين باليهودية دينا، ويخلُف أطماع المستعمرين، الطامعين في تراث وطننا العربي، الخائفين من وحدته، المعادين لحضارته وتراثه، المصرّين على تفتيته.

إن فلسطين أيها السادة، هي في هذا المجال، مجال مجابهة العنصرية، وهذا يجسد حالة فريدة من نوعها: فلسطين لها أهمية خاصة، نبعت من موقعها كملتقى القارات الثلاث: آسيا وأفريقيا وأوروبا، وبما حظيت به من تكريم سماوي من الاديان السماوية الثلاث، المسيحية واليهودية والاسلام، وبما قدمته واضافته لتراث البشرية وخبرتها في التفاعل الحضاري والتسامح الديني والتعامل مع البشر، حجيجا وقوافلاً وتجارا وعابري سبيل. ولفلسطين تاريخ قديم تشهد به، الى جانب المؤرخين والرحالة وكتبهم، الكتب السماوية وما حوت من وصف لها ولشعبها وحضارتها. وهي، في تزاملها مع حقب التاريخ، قديمها وحديثها، أعطت، دائما وأبدا، البرهان على صدق هذه المشاعر الوجدانية الخلّاقة، فما من نبي أو رسول إلا ومرَّ بها أو وُلد فيها. وإذ بنا نجد أن أعداء فلسطين وأعداء شعب فلسطين، يزورون هذه الثوابت السماوية والكتب التاريخية، ويُصرُّون على الادعاء بأن فلسطين كانت قفرا خراباً، بلا شعب، عندما غزاها المستوطنون الصهاينة وشردوا أهلها واستوطنوا أرضهم، بل انهم يزعمون، زوراً، أن الحضارة حضارتهم، والأرض أرضهم، والتراب ترابهم. هل رأيتم، أيها السادة، تزويراً أو سرقة أبشع وأخطر من هذا على الفكر البشري والانساني؟

وبعد الاستيلاء على الارض كانت محاولة الاستيلاء على التراث، ثم امتد أخطبوط هذا العدوان الى أدقّ التفاصيل الحضارية. ونموذج واحد على ذلك، هو استمرار الغدر الصهيوني في الادعاء بأن أزياءنا وفنوننا الشعبية الفلسطينية، والمتوارثة من قرون هي أزياء وفنون من تراثه. إن العقيدة الصهيونية، باختصار، تأبى التعايش مع الحضارات الأخرى.

وليست أهمية فلسطين قاصرة على الجانب التاريخي والحضاري والانساني فقط، وانما في كونها كذلك قلب منطقة لها أهمية استراتيجية سياسية واقتصادية ثابتة، بحيث يتوقف عليها وعلى ما يدور فيها وبشأنها أمن العالم كله وسلامه وتقدمه ورخاؤه ومستقبله.

والذي يجعل فلسطين حالة فريدة من نوعها هو أن الامر لم يقتصر فيها على احتلال الأرض ونهب الثروات، وانما تعداهما الى طرد الشعب من بيته ووطنه. ومن المؤسف أن ذلك حدث في لحظة سوداء من تاريخ البشرية وقعت فيها تحت سيطرة الطاغوت الاعلامي الكاذب والمخادع، فوقع شعبنا، ضحية في هذا القرن وهذا العصر، لابشع اعتداء وحشي إرهابي فاشي على أرضه وتراثه وحضارته وإيمانه، بل ان هذا المعتدي الصهيوني، بقيادته العسكرية الفاشية، يهزأ بالامم المتحدة ومؤسساتها وجميع القرارات الصادرة عنها.